

صاحب الجلالة يخاطب من مراكش المواطنين المغاربة سكان الصحراء المغربية:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

رعايانا الأوفياء سكان إقليم الصحراء

أبيت اليوم إلا أن اقتبس خطابي هذا الذي أوجهه مباشرة إلى رعايانا ومواطنينا في الصحراء المغتصبة، أبيت تفاؤلا وزيادة في الحجة إلا أن أقتبس خطابي هذا من سورة الفتح، لأخاطبكم كأمير المومنين وملك بيعته ما زالت في عنقكم، وأخاطبكم كمسير ومخطط للدبلوماسية والسياسة الخارجية المغربية، وكجامع للشمل صالح لرتق ما تفرق وللمصالحة بين جميع المواطنين.

فكأمير المومنين وملك لكم ما زالت بيعته في عنقكم أقول لكم من سورة الفتح، قال الله سبحانه وتعالى بعد بسم الله الرحمان الرحيم :

(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فانما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجراً عظيما)، صدق الله العظيم.

وهكذا شعبي العزيز، رعايانا في الصحراء، ترون أن روابط وأسس تعاملنا ليست تلك الأسس المصطنعة التي خلقها التاريخ صدفة، بل هي قبل كل شيء ترابط وتعامل مبنيان على أعز ما هو في أنفسنا وأقدس ما في أرواحنا، وهو الايمان بالله وبرسوله والعمل بكتابه الحكيم.

فالبيعة شعبي العزيز ليست بالشيء الذي يأتي قهراً أو نأخذه من الناس قوة وتجبرا، بل البيعة تقتضي الترابط، لذا سميت البيعة التي ذكرتها لكم في سورة الفتح بيعة الرضوان، لأنها كانت بيعة الرضوان بمعنى رضوان الله على المسلمين جميعا، الذين بايعوا النبي ﷺ، وكذلك فان من باب الاشتقاق، الرضوان والتراضي نجد أن أصلهما شيء واحد.

فمهما فرق بيننا الزمن ومهما حاول أن يشتت شملنا المستعمر، ما زالت الروابط بيننا قائمة، وما زالت تلك الوشائج فعالة جياشة، ولا أريد من حجة ولا أكتفي من دليل إلا بما سمعته ورأيته منذ دخل أبونا رحمه الله محمد الخامس طيب الله ثراه من المنفى، فسمعت ورأيت : سمعت زغاريد في العيون وفي الصحراء وفي الساقية الحمراء ووادي الذهب، رأيت الأعلام المغربية ترفرف، ورأيت السكان يبتهجون ويطربون فرحاً في الأزقة وفي الشوارع، سمعت بنادق جيش التحرير، وسمعت هتافات مناصري السياسة المغربية، حتى يعم ذلك الاقليم من نعمة الاستقلال ونعمة الكرامة وجمع الشمل ما عم أخاه في الشمال.

وهكذا شعبي العزيز في الصحراء، ترى أن الله سبحانه وتعالى أراد لهذه الأمة أن تكون علاقاتها السياسية وتعاملها مبنيين على التقى وعلى الهدى من الله.

وهذه البيعة التي تلزمك وتلزمني والتي تضع على كاهلك وعلى كاهلي أعباء وواجبات، لم يكتف القدر بأن نقول بها ونصيح بها نحن وحدنا، بل أرادت ألطاف الله ونعمه التي لا تعد ولا تحصى علينا ولله الحمد،

أن يبوح بها العالم كله، وأن تعترف بها الدوائر السياسية العالمية، وأخيراً أن تضع طابعها القانوني عليها محكمة العدل، حيث اعترفت بأن هناك روابط قانونية وروابط بيعة بين سكان الصحراء وبين المغرب.

ولم تنقطع قط تلك الروابط، ولم تنمح قط تلك البيعة، بل فصل بيننا وبينكم حاجز ألا وهو الاستعمار، اما فيما يخص الفلسفة وفيما يخص التفكير وفيما يخص البيعة وفيما يخص النية فلم ينقطع قط بعضنا عن بعض، بل بقي شملنا مجتمعاً، وبقيت بيعتنا قائمة تلزمك وتلزمنا على السواء.

ثم قال سبحانه وتعالى في سورة الفتح : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون).

وكلكم يعلم ما وقع في الحديبية، وكلكم يعلم ما خططه النبي ﷺ لمدة طويلة من أسابيع وشهور، خطط ليدخل مكة فاتحاً مسالماً لا فاتحاً محارباً، وخطط لذلك ما خطط، ورسم من الطرق ما رسم، وجلب حوله أكثر ما يمكن من العطف وأكثر ما يمكن من التحالف، سواء مع القبائل أو مع العشائر، وبعد ذلك، بعد سنة من كفاح سليم مرير من دبلوماسية نبوية عبقرية ومن جهد جهيد، كلل الله مجهودات الجميع بأن حقق الرؤيا وحقق الرؤى والآمال والأماني، وكتب لنبيه ﷺ أن يدخل مكة محلقاً رأسه ومقصراً غير خائف.

وهذه هي مسيرتنا شعبي العزيز، هذه مسيرتنا منذ سنة ونحن نخطط ونحن نرسم ونحن نجمع الحجج تلو الأخرى، الحجج التاريخية والقانونية والبشرية، ونحن نحاول أن نفتح الأذهان والأفكار للعالم بأسره حتى يقتنع بقوة حججنا وحتى يومن بحقوقنا.

قضينا سنة كاملة ونحن نعمل ليل نهار ليمكننا أن نلتقي بك شعبنا العزيز في الصحراء، أن نلتقي بك في مسيرة غراء، مسيرة مبنية على رؤيا حققها الله سبحانه وتعالى، ولندخلن صحراءنا إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسنا ومقصرين وغير خائفين، وسنلقاكم تنتظروننا مستبشرين فرحين حتى نتعانق، وحتى يمكننا أن نشفي الغليل في تلك الساعة، نشفي الغليل من الحاجة المادية التي كنا فيها نحن وأنتم، للتصافح بالأيدي والنظر إليكم عن قرب وتبادل التعانق والقبلات.

ثم قال الله سبحانه وتعالى في سورة الفتح :

(محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار).

معنى هذا أن الله سبحانه وتعالى لم يكتف بجمع الشمل بين النبي ﷺ وأهل مكة، بل كذلك هدى أهل مكة وهدى الأنصار والمهاجرين حتى تناسوا الماضي وحتى تخطوا ما فات من الزمن، فألهم الجميع الصبر والسماح والتسامح والتعاضد والتآلف والتآخي، نظراً لكون الأمة الاسلامية كانت على فتح جديد، فتح صفحات أخرى لبناء مجتمع آخر من نوع جديد في حياة العرب والمسلمين.

وهكذا أقول لك شعبي العزيز في الصحراء، أقول لك بكيفية واضحة لا مراء فيها، وأتوجه لمن انطوت عليهم حيل المستعمرين أو لعبت بأذهانهم أطماع الطامعين فأقول لهم :

لا يمكنني أن أتنكر لأخلاق النبي ﷺ، ولا لأخلاق أجدادي، ولا لأخلاق والدي رحمة الله عليه،

بل واجبي أن أجمع الشمل، وأن أصالح الجميع، وأن أصافح الجميع، علي أن أقول لكم إنني أومن وأعتقد وسأفعل ما سأفوه به من قسم :

إنني باسمي وباسم إخوانكم الذين هم في المسيرة، أعد الجميع وأعاهدهم على التناسي، وعلى الصفح، وعلى طي تلك الصفحات التي لم يكونوا مسؤولين عنها تماماً، بل كما قلت في طياتها كانت حيل المستعمر وأطماع الطامع.

وهكذا شعبي العزيز، ليلة الجمعة وبعد ثمانية أيام مضت منذ خطابنا إلى شعبنا للقيام بالمسيرة الخضراء، نتيمن ببناء سياستنا على آيات من الذكر الحكيم، وقد أرادت الصدف أن تكون تلك الآيات كلها في سورة واحدة وهي سورة الفتح، وهي السورة التي أخذنا منها العملية فسميناها عملية الفتح، وهي السورة التي رسمت مسيرة النبي ﷺ وفوزه بالنجاح وتصالح المسلمين واتحادهم على أن يتناسوا الماضي لأن ما ينتظرهم في المستقبل هو أقدس من كل شيء وكل اعتبار.

شعبي العزيز في الصحراء :

إنني أعلم وأنت تعلم كذلك أن الأجانب والأعادي يرمونك بنوع من الميز القبلي، ومن العنصرية القبلية، وهكذا يريدون أن يلعبوا بين صفوفك، وأنا لا أومن بهذا، ولا أجعل فرقاً بين أي واحد ينتمي إلى قبيلة من قبائل الصحراء بل جميع الرعايا سواء أمام الحق وأمام القانون. إن لشباب الصحراء مستقبلا أغر، مستقبلا زاهرا إن هم أرادوا أن يعملوا لصالح إقليمهم، بل إن أمام شيوخ الصحراء حقولا واسعة حتى يمكنهم بآرائهم ومعرفتهم لحقوق وأحوال السكان أن ينيروا لنا الطريق، وأن يقوموا لدينا بواجب النصيحة، حيث قال النبي ﷺ : (الدين النصيحة، قالوا : لمن يارسول الله ؟ قال لأئمة المسلمين وعامتهم).

شعبي العزيز في الصحراء :

أكرر لك باسمي وباسم المسيرة الخضراء التي لا أريد أن يدنسها شيء من الالتواء لا في الكلام ولا في التفكير، أقول لك : عفا الله عما سلف، وإننا لنعلم أن كل من ذهب نحو الاسبان أو ذهب نحو ما يسمي نفسه بجبهة التحرير، إنما ذهب مغروراً، ذهب ضحية حيل وفخاخ .

فارجعوا إلى رشدكم أرشدكم الله ووفقكم، وأعطوا مثالا آخر جديداً للتاريخ على مدى نضجكم، وكونوا أبناء ذلكم الفاتح الأغر يوسف بن تاشفين الذي بجمعه الشمل وبايمانه بالله، تمكن بأن يزيد في عمر الاسلام وحضارة الاسلام في القارة الأوربية ما يزيد على ستة قرون.

فأنتم أبناء أولئك المغاربة، وأنتم أبناء أولئك الأبطال، وما كان للأبناء أن يكذبوا ما عمل الآباء والأجداد.

وفقنا الله جميعاً لما فيه خير البلاد، وألهمنا الرشد والحكمة والسداد، إنه سميع مجيب، وبالاستجابة جدير.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الخميس 17 شوال 1395 — 23 أكتوبر 1975